المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

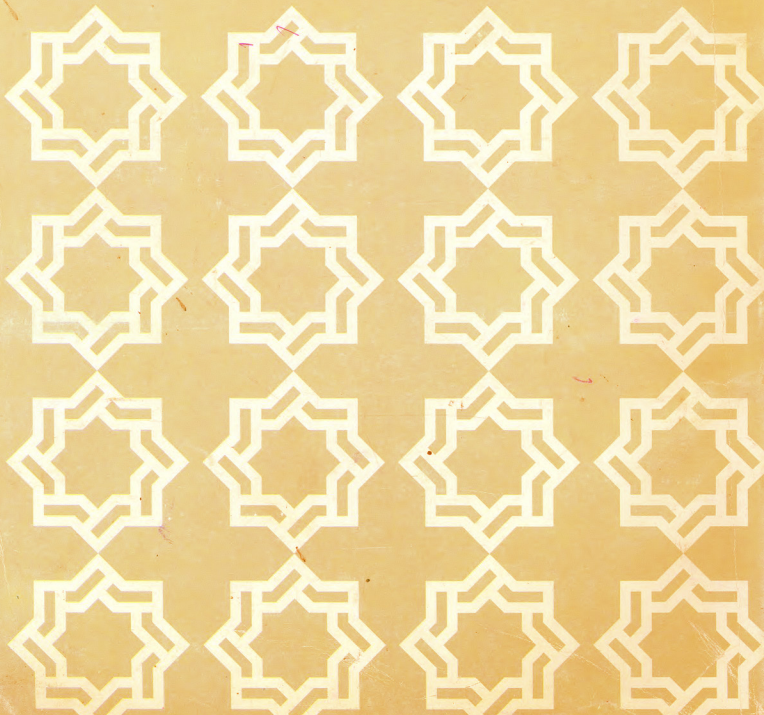

الوجدان العربي في شعر الفتوح الأموية

بقلم

عبد الجبار داود البصري

رئيس تحرير مجلة الاقلام ـ بغداد

التعريف بالوجدان العربي في شعر الفتوح الاموية يفترض العلم بـ : اولا : المجتمع العربي الاموي الذي انتج الشعر وهو مرتبط باصوله وفي حالة صيرورة .. ثانيا : الفتوح .. طبيعتها وتعدد جبهاتها وشعرها .. ثالثا : الوهبة المعطاء التي تفاعلت مع الفتوح . ومن هنا يجيء انقسام هذه الدراسة الى ثلاث صحف ..

الصحيفة الاولى ـ العروبة

١ ـ عروبة الجاهلية :

لا يصح اعتبار المجتمع العربي قبل الاسلام مجتمعا همجيا تعيش قبائله على النهب والسلب ونربط بين هذا الاعتبار وبين عبادة الاصنام والاوثان ونبرر احدهما بالاخر ، لان مجتمعات اخرى كانت وثنية ولكنها لم تكن بالضرورة متوحشة كالاغريق . وان الاصنام والاوثان لا تعكس بالضرورة عقلية قائمة معاصرة لها فمن المحتمل ان يكون هبل ، ومناة «القدر» ، واللات «ربة الشمس» ، والعزى «نجمة الصباح»(١) ونسرا ، وسواها رواسب عقلية سابقة ويظن انها متبقيات من عصور الديانة الطوطمية حيث كان لكل قبيلة رمز مستمد من الطبيعة تنسب له وتعرف به ، وحتى قريش انما جاء اسمها نسبة للقرش الذي يظن انه كان طوطمها (٢) . وقد ذكر نفر من المؤرخين ان العرب كانوا قوة من القوى العظمى على الارض طوال الالفي سنة التي سبقت الاسلام ، ولم ينشأ وهم الناس في همجية العرب قبل ظهور محمد عن سكوت التاريخ فقط بل نشأ ايضا عن عدم التفريق بين اهل البدو واهل الحضر من العرب ـ والاعراب قبل محمد وبعده اجلاف كاجلاف الامم الاخرى الذين لم يكن لهم تاريخ ولا حضارة (٣) .

ولم يكن المجتمع العربي مجتمعا ممزقا وقبائل متنافرة طيلة القرون التي سبقت الاسلام ولكنه كان مجتمعا عوامل توحده اكثر من عوامل تمزقه .. هنالك شعب واحد هم العرب وينقسمون الى العرب العاربة والعرب المستعربة ، وهنالك لغة واحدة ، رغم الفروق الطفيفة في اللهجات ، وعادات وتقاليد واحدة ، وعقيدة دينية واحدة تتحدر اصنامها من رحم واحد ، ومن حين لاخر يضمهم اطار سياسي واحد من اقصى الجزيرة الى اقصاها فقد قيل ان شمر يرعش من ملوك حمير وطىء ارض العراق وفارس وخراسان وفتح مدائنها وخرب مدينة صغد وراء نهر جيحون ثم بنى مدينة هناك عرفت باسمه هي مدينة سمرقند ، وقيل ان ابا كرب وهو من ملوك حمير ايضا غزا اذربيجان وهزم ملك الفرس وقتل ملك سمرقند وعاثت جيوشه في بلاد الصين وعادت محملة بالغنائم كما حاصرت جيوشه رومة وادت له القسطنطينية الجزية (٤) .

ويبدو ان تمزق هذا المجتمع كان يقع من حين لاخر بسبب الصراع السياسي بين الكتلتين الفارسية والرومانية اللتين تتنافسان على ضمه الى مناطق نفوذهما . فالجزء الملاصق للدولة البيزنطية كان امارة عربية « الغساسنة » مهمتها حراسة حدودها والقيام بدور الحاجز ، والجزء الملاصق للدولة الفارسية كان امارة عربية « المناذرة » مهمتها مهمة اختها .. والجدير بالذكر ان الصهاينة يريدون ان يلعبوا مع عرب فلسطين نفس اللعبة القديمة . وكما يستفيد المستعمرون اليوم من البعثات التبشيرية لاغراض التجسس والتدخل بالشؤون الداخلية كذلك كان صنيع اسلافهم ففي كتب التاريخ ان ملوك الروم كانوا يصلون اسقف نجران ويهبونه الاموال ويتراسلون معه وقد بنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات (٥) وقد تعرضت نجران ذات يوم لما تكره ففر احدهم حاملا معه نسخة محروقة من الانجيل الى بيزنطة فكانت مناسبة تنتظرها لتوعز الى امير الحبشة المسيحي وهو من الكتلة البيزنطية للهجوم على اليمن ، ومثل هذه الحادثة حوادث حفظ التاريخ بعضها واضاع بعضها الاخر .

ولم يكن المجتمع العربي مجتمعا اميا بحضره وبدوه بل كان

---

(١) حضارة الاسلام ـ جوستاف جرونباوم ـ ترجمة عبدالعزيز جاويد ص ٩٥ .

(٢) محاضرات في تاريخ العرب ـ د . صالح احمد العلي ط ٣ ص ١٠٤ .

(٣) حضارة العرب ـ غوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر ط ٣ ص ٨٨ .

(٤) تاريخ الاسلام ـ د.حسن ابراهيم حسن جـ١ ص٣٠ ط٣. وسيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٧ .

(٥) فجر الاسلام ـ احمد امين ص١٢٠ .

سكان المدن على حظ لا بأس به من الثقافة وقد تسربت اليهم المدنيات المجاورة من خلال ثلاثة مسارب : التجارة وامارات التخوم والديانة اليهودية والنصرانية (٦) . وقد كانت دول معين وسبأ وحمير تعرف القراءة والكتابة ، والمناذرة كانوا يشتغلون بتعليم القراءة والكتابة (٧) وكانت مكة مدينة مثقفة بدليل ان الرسول عهد الى اسرى بدر الذين عجزوا عن دفع الفداء ان يعلم كل منهم عشرة من ابناء المسلمين (٨) . ويروى عن ابي عمرو بن العلاء قوله : ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير .

ولم يكن المجتمع العربي مجتمع لصوص وقطاع طرق ولكنه كان مجتمعا تجاريا في جانب منه ، واقطاعيا عبوديا في جانب اخر ، وقبليا شبه اقطاعي في جانب ثالث . فهو بحكم موقعه كان يسيطر على طرق المواصلات بين كتلتي الروم والفرس من ناحيتي البر والبحر وهذا الموقع فرض على قسم من العرب ان يكونوا تجارا وان يكونوا حلقة وصل بحيث لا يصح القول انهم كانوا امة منعزلة بحصرها البحر من جانب والصحراء من جانب ويجعلانها منقطعة عن غيرها (٩) . وكانت المعرفة بطرق المواصلات وتملك وسائط النقل البرية « القوافل » كفيلة بان تبوىء صاحبها اعلى درجات السيادة والشرف فقريش لم تفرض سيادتها على العرب الا بسبب رحلتي الصيف والشتاء ، وبنو عبد مناف الاربعة لم يفرضوا هيبتهم على قريش الا بسبب التجارة فلقد كان هاشم يتوجه الى الشام ، وعبد شمس الى الحبشة ، والمطلب الى اليمن ، ونوفل الى فارس (١٠) . وقد جاء في بعض كتب التاريخ « كان الملوك تجارا يبيعون ويشترون، وكان رؤساء المعابد تجارا يتاجرون باسم معابدهم ويكسبون من الضرائب التي تقدم لمعابدهم كسبا فاحشا ، وكان اصحاب الاملاك ورؤساء العشائر تجارا كذلك يتاجرون بما يقدمه اليهم من هو دونهم في المنزلة من حاصل وغلة (١١) .

وتحدثنا كتب التاريخ ان هذا المجتمع كان يحكم حكما مزدوجا دينيا ودنيويا فكان الحاكم كاهنا يحكم الارض باسم السماء ولهذا كانت دار الحكومة معبدا تقام فيها الاحتفالات والطقوس وتقدس الالهة وتقدم القرابين والاضاحي لها (١٢).. كما امتلكت المعابد ارضين واسعة استغلتها باسم الالهة ودرت عليها ارباحا طائلة وكانت لها مخازن كبيرة تخزن فيها الحاصلات والنذور ثم تباع او توزع على الموظفين وكثيرا ما اجرت المعابد اراضيها للاسر الكبيرة من سادة القبائل .

وقد عرفت دول المدن العربية وراثة العهد فكانت المشيخة او الامارة تنتقل الى الابناء ويتولاها الابن الاكبر في الغالب (١٣). وكانت هذه المشيخة مقيدة بمجلس مدينة بحيث لاينفرد الحاكم بحكمه ولا تشذ عن ذلك حتى مكة فلقد كان قصي الذي تامر عليها بعد تغلبه على خزاعه يستعين على ادارتها بدار الندوة وهو الذي امر ببناء الدور حول الكعبة والمصلى بعد ان كانت

(٦) فجر الاسلام ـ ص٢٩ .
(٧) تاريخ الاسلام ـ د. حسن ابراهيم حسن ص٣٥ جـ١ .
(٨) المرجع السابق ـ ص ٦٩ .
(٩) فجر الاسلام ـ ص ١٢ .
(١٠) تاريخ الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن ـ جـ١ ص٦٤ .
(١١) تاريخ العرب قبل الاسلام ـ جواد علي ـ جـ٨ ص٦٥ .
(١٢) المرجع السابق ـ جـ٨ ص١٠ .
(١٣) المرجع السابق ـ ص ٢٥ .

خياما وهو الذي استن سنة تسليم اللواء وحين كبر ورق عظمه اورثها ابنه عبدالدار بقوله : اما والله يابني لالحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا انت بيدك تعقده، ولا يشرب احد بمكة الا من سقايتك ولا ياكل احد من اهل الموسم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قريش امرا من امورهـا الا في دارك (١٤) .

ولم تكن مجالس المدن منتخبة ، وليس للشعب رأي في عضويتها ولكن العضوية فيها تأتي عفوية بسبب ثراء الفرد أو رئاسته العشائرية او انه من اهل العقل والسداد (١٥) .

اما عن الاقطاع في المناطق الصالحة للزراعة فلقد كان للاقطاعيين قصور ضخمة وقلاع مشيدة ولعل ما يعرف بالخورنق وغمدان والحضر وسواها انما هي بعض قلاعهم . وكان اكثر الفلاحين لا يملكون ارضا وانما كانوا يؤجرونها ويكترونها من الحكومة او المعابد أ والاقيال (١٦) وسادات القبائل وقد تسبب اشتطاط اصحاب الاملاك وتعسفهم بالمكترين واستغلالهم في قسمة الحاصل وتوزيعه الى وقوع حوادث مؤسفة (١٧) وكان للسيد حق فرض اية عقوبة يراها على من يرفض العمل ويخلع طاعته. وقد بلغ الامر باحدهم ان جعل حمايته تشمل كل انواع الوحش حتى كان يقول : وحش ارض كلا في جواري فلا يصـاد .. واصبح الناس لا يرعون ابلهم مع ابله ولا يوقدون نارا مع ناره ولا يجرؤ احد ان يمر بين بيوته (١٨) .

وكانت الاقطاعيات تمنح باحد الاساليب التالية كان تعين الحدود بجري فرس ، او برمية سهم من قوس ، او بمقدار ما يسمع منه عواء كلب وقس على ذلك (١٩) .

وكانت نظرة السيد الى الفلاحة نظرة ازدراء وقلة تقدير ولذلك كانت طبقة الفلاحين تضم العناصر المسحوقة في الغالب وهم فقراء الحضر ، والعبيد الرقيق ، والاجراء (٢٠) .

وبالنسبة لسكان البادية القبليين كانت موارد المياه هي سر حياتهم واكسيرها فكانت المياه تجممهم وتفرقهم ، تقربهم وتقصيهم ولذلك قدسوا الانهار والابار وربما عبدوها ولعل ارتفاع منزلة السقاية بالنسبة لاشراف مكة سببها ما كنته العرب البداة من تقديس للماء وللقائمين على شؤونه ، وكانوا يصلون للمطر ويقدمون له الهدايا والقرابين ويدعونه « غيثا » . وتعتبر الابار مصدرا من مصادر الثروة لمالكيها يبيعون ماءها للناس وقد تضن بعض القبائل بابارها على غيرها فتجعل لها فتحات تسد بالحجارة لا يمكن للغرباء الوقوف عليها فاذاداهمهم عدو او ارادوا النقله اخفوا معالمها (٢١) وقد فعلت جرهم ببئر زمزم كذلك حين ظعنوا من مكة الى ان اعاد حفرها عبدالمطلب بن هاشم (٢٢) ولهذه البئر قداسة في الجاهلية والاسلام .

(١٤) سيرة ابن هشام ـ تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه ص ١٢٩ـ١٣٠ جـ١ .
(١٥) جواد علي ـ جـ ٨ ص ٣٨ .
(١٦) الاقيال : امراء اليمن واقطاعيوه .
(١٧) المرجع السابق ـ ص ٢٢٥ .
(١٨) تاريخ الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن ص٥٥ جـ١ .
(١٩) جواد علي ـ ص٢٣٨ .
(٢٠) المرجع السابق ـ ص ٢٨٩ .
(٢١) المرجع السابق ـ ص٢٢٥ .
(٢٢) سيرة ابن هشام ـ ص١١١ جـ ١ .

ولكون الماء راس مال البدو كانت جميع مظاهر حياتهم منسوبة اليه حتى حروبهم وايامهم المشهورة .

ولم تكن قبائل البادية متنافرة دائما فكثيرا ما عقدت بينها احلافا واتحدت ، وكان لكل قبيلة شيخ ترشحه عراقة الاهل وكبر السن ومواهبه الشخصية وكان لكل شيخ مجلس مؤلف من المسنين يتعاون معه (٢٣) .

وقد استطاعت مملكة « كندة » ان تبسط نفوذها على القبائل حينا من الدهر وتوحدهم تحت لوائها .

٢ ـ الاسلام والعروبة :

معجزة الاسلام الكبرى انه استطاع ان يحول الامة العربية بحضرها وبدوها وعلى اختلاف بناها الاقتصادية بشكل لا نظير له في تاريخ المجتمعات البشرية الى طبقة اجتماعية واحدة . وقد اعتمدت عملية الصهر ثلاث وسائل اساسية هي : العقيدة والجهاد والتنظيم .. واصبحت هذه الوسائل بعد اشتداد ساعد الدعوة هي الوسائل المعتمدة في انتاج القوت وتوفير اسباب الحياة ليس للعرب المسلمين فحسب بل لكل الراغبين في الحياة الحرة الكريمة .

وقد بدات عملية التحول من امة الى طبقة بشكل فردي ذي وجهين .. الوجه الاول : حين خرج العبيد والارقاء والمستضعفون على تقاليدهم الطبقية وتحدوا اسيادهم كعمار بن ياسر وبلال الحبشي ، والوجه الاخر خروج الاسياد على تقاليد طبقتهم كابي بكر وعمر وعثمان ومصعب . ثم بعد البيعة الاولى والثانية اتخذت عملية التحول شكلا جماعيا حين آمن بالرسول الاوس والخزرج وبعد فتح مكة جاءت وفود القبائل تباعا لتبايع الرسول وتنضوي تحت لوائه .

وبسبب تحول الامة الى طبقة في ظل الاسلام انفتحت العروبة على الداخل والخارج .

ويبدو الانفتاح على الداخل في رفض الاسلام لطبقية المجتمع الجاهلي وعصبيته القبلية حين ساوى بين السيد الاقطاعي وبين فلاحيه العبيد ، وبين الصليبة والموالي ، والحر والرقيق ، والعرب وغير العرب .. وقد ورد في القرآن الكريم: ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير (١) .

وجاء في خطبة الوداع : انما المؤمنون اخوة ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى . وقد اخبر الرسول اصحابه غير مرة بان العتق وفك الرقاب من اجل العبادات واقربها قبولا عند الله ، وان العتق كفارة لعدد كبير من الخطايا والحنث في الايمان . وبالنسبة للنظم والاجهزة الاجتماعية الاخرى فقد اقر الاسلام كثيرا منها ولكنه ملأها بمضامين جديدة واجرى عليها بعض التعديلات . فلم يكن للعرب قوانين معروفة وانما كانوا يرجعون الى رؤسائهم يستفتونهم فيما ينشب بينهم من خلاف وفي ظل الاسلام خضعوا لقانون سماوي تتمتع نصوصه بثبات دائم لانه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولذلك كانت المدارس الفقهية التي نشأت فيما بعد مدارس للشرح على المتون فقط .

(٢٣) الادارة العربية ـ ص ١٠.ق. حسيني ترجمة د. ابراهيم احمد العدوي ص٢٣ .

(١) سورة الحجرات .

وبقي شكل الحكم دينيا ودنيويا معا فلقد كان الرسول النبي والمشرع والحاكم والقائد والقاضي الاعلى ورئيس الاداة الادارية كلها وكان خلفاؤه الراشدون من بعده يجمعون الصفتين كذلك وقد حل المسجد النبوي محل « المعبد القديم » فكان مكانا للطقوس الدينية ولتصريف شؤون الحكم معا وكان لكل مدينة او قبيلة مسجدها الخاص وان كبار موظفي الدولة وعمالها في المدن او كبار رجال القبائل هم الذين يقومون بامامة الناس في الصلاة (٢) .

واستبدلت دارة الندوة او مجلس القبيلة بهيئة الشورى وتتكون من كبار الصحابة واعيان المدينة وزعماء البدو الوافدين اليها وكانت تعقد جلساتها في المسجد وهي جلسات مفتوحة يحق لكل من يحضر للصلاة ان يدلي برأيه فيها .. وكان للنبي كتبة يتقاسمون اعمال السلطة ولعلهم كانوا نواة للوزارة التي عرفت فيما بعد فقد تولى علي وعثمان كتابة الوحي ، والزبير بن العوام وجهيم بن الصلت كتابة اموال الصدقات ، وحذيفة بن اليمان تقديرات الدخل من النخيل ، والمغيرة بن شعبه والحسن بن نمر كتابة المداينات والمعاملات بين الناس،وعبدالله بن الارقم والعلاء بن عقبه مسك سجلات القبائل والمياه ، وزيد بن ثابت مراسلة الملوك والامراء ، ومعيقيب بن ابي فاطمة تسجيل دخل الدولة وغنائم رسول الله ، وعهد الى حنظلة بن الربيع بخاتم النبي (٣) .

وبعد وفاة الرسول لم يلجأ المسلمون الى نظام الوراثة برغم ثقة بعض الفرق الاسلامية به وكونه معروفا عند العرب من قبل وانما لجاوا الى نظام الخلافة وانتخاب الخليفة انتخابا ديمقراطيا مشروطا بان يكون قرشيا ، وكان الخوارج اعنف معارضي هذا الشرط فيما بعد .

وقد اتخذ الحكم الراشدي في صدر الاسلام اساليب رادعة للقضاء على النظام العبودي وتحركات الاقطاعيين ومواصلة تحويل الامة الى طبقة مقاتلة عليا حيث اضطلع ابو بكر باعباء حروب الردة وكانت حروبا دوافعها اقتصادية ووراءها كبار الاقطاعيين، ثم جاء عمر بن الخطاب فلم يعترف بنظام الاقطاع الروماني في الشام او العراق واعطى الارض لمن يزرعها كما انه لم يوافق على تحويل المقاتلين في ارض السواد الى اقطاعيين،وقاسم ولاته نصف اموالهم (٤) بالاضافة الى الضرائب التصاعدية التي فرضت للتقليل من الفوارق الطبقية ومنها الزكاة ، والصدقة والعشر ، والكفارات ، والنذور ، والاضاحي . وكانت الموارد العامة كالابار والانهار والاحماء والمراعي مؤممة وكان الرسول قد شجع الاثرياء على شراء ابار مملوكة لافراد ووضعها في خدمة المجموع .

وفي الميدان الاخلاقي هذب الاسلام من السلوك الاقطاعي القبلي ، ونظم الحياة الجنسية التي عرفت انواع الزيجات واعتبر الاسلام اخلاق الجاهلية موضوعة وتبين مقالة جعفر بن ابي طالب للنجاشي مقدار هذا التحول الخلقي : ـ « ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة وناتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده

(٢) الادارة العربية ـ حسيني ص ٦٠ .

(٣) المرجع السابق ـ ص ٤٧ـ٤٨ .

(٤) اشتراكية الاسلام ـ د. مصطفى السباعي ط٣ ص١٠٣ .

ونعبده ونخلع ما كنا نعبد وابائنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنات .. الخ (٥) .

• وبفضل دعوة التوحيد حرر الاسلام العقلية العربية من الاوهام والخرافات والعقائد التي كانت ميدان ارتزاق لسادة القبائل والاقطاعيين وكهان المعابد ، وكانت مبررا لتدخل الروم او الفرس بشؤون العرب الخاصة .

وهذه الامة التي تحولت الى طبقة مقاتلة عليا كان امامها امران .. الامر الاول ان تطور مجتمعا عسكريا لا طبقيا كاسنان المشط في حدود المرابع والاحماء والبوادي العربية والامر الثاني ان تبحث عن منافذ جديدة تحقق فيها تفوقها .. ولم تكن ظروف الجزيرة وامكاناتها والمستوى الحضاري يومئذ قبل الفي سنة صالحا لاحتضان مجتمع لا طبقي وهضمه ولم تكن الاصوات المخلصة التي ارتفعت فيما بعد كصوت ابي ذرالغفاري ذات قدرة على تحويل مجرى التاريخ خلافا لشروطه الموضوعية ومن هنا كان الامر الثاني اقرب الى طبيعة العصر وشروط التطور الموضوعية فوجدت « الامة ـ الطبقة » منفذها في التفتح على الخارج ونجد جذور هذا الانفتاح في الكتب التي بعثها الرسول الى الملوك والامراء خارج الجزيرة العربية .. فقد ارسل دحية بن خليفة الكلبي الخزرجي الى هرقل امبراطور الروم ، وعبدالله بن حذافة السهمي الى كسري فارس ، وعمرو بن امية الضمري الى النجاشي وحاطب بن ابي بلتعة اللخمي الى المقوقس عامل هرقل على مصر ، وسليط بن عمرو العامري الى هوذة بن علي الحنفي امير بلاد اليمامة وشجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن ابي شمر الغساني والعلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوي صاحب البحرين (٦) .

٣ ـ عروبة الامويين :

حين تولى الخلافة عثمان بن عفان كانت الامة العربية قد اخذت مكانها كطبقة مقاتلة عليا في الدولة الاسلامية من شمال افريقيا الى اواسط آسيا وبقيت المرابع والاحماء والبوادي العربية مستودعات لتموين الجيوش بالموارد البشرية، وان تكوين الجيش العربي في خراسان مثلا من (٧٠٠٠) مقاتل من بكر بن وائل ، و (١٠٠٠٠) مقاتل من تميم و (٤٠٠٠) مقاتل من عبد القيس و (١٠٠٠٠) مقاتل من الازد و (٩٠٠٠) مقاتل من البصرة والعالية و (٧٠٠٠) مقاتل من الكوفة ذو دلالة عميقة على حقيقة التحول الكبير (١) .

ويبدو لدارسي التاريخ ان العصر الاموي الذي بدأ باستغلال قميص عثمان كان موزعا بين تيارين .. التيار الاول : تيار يفتت هذه « الامة ـ الطبقة » ويلحق ما يقتطعه منها الى الطبقات المحكومة ، وكانت اول شريحة اقتطعت من « الامة ـ الطبقة » طائفة الشيعة التي تحولت بعد استشهاد الامام من كونها طائفة مقربة الى كونها طائفة مشردة مغضوباعليها ثم تبع ذلك انسلاخ الخوارج وانفرادهم بنظرية سياسية معينة وتعرضهم لحروب عنيفة طاحنة ، ثم دارت الدائرة بعد مقتل ابني الزبير على انصارهما واضيفوا الى قافلة المحكومين وبسببه تصارع ابناء امية على ولاية العهد وتحزب بعض القادة لهذا الامير دون ذاك تفتت « الامة ـ الطبقة » القاتلة اكثر واكثر حتى كانت الفئة الحاكمة في آخر حكم الامويين جزءا من سلالة .

واما التيار الثاني فهو تيار يحول الطبقة المقاتلة وهي تفتت قطعة قطعة الى طبقة اقطاعية تقيم نفوذها على اساس تملك الارض واستغلال العبيد والفلاحين واسرى الحرب .. واول موجة من امواج هذا التيار ان الارض التي جلا عنها اهلها في اعقاب الفتوح او كانت تابعة للملوك والمرازبة السابقين والتي عرفت في زمن عمر بن الخطاب « بالصوافي » وضمت الى بيت مال المسلمين ارتأى الخليفة عثمان ان اقطاعها للافراد اوفر لغلتها فعرفت « بالقطائع » (٢) وقد تضخمت ظاهرة التملك والتمليك هذه بحيث بلغ الامر ان الخلفاء الامويين مثل معاوية وعبدالملك والوليد وهشام وولاتهم الاقوياء مثل الحجاج ومسلمة وخالد القسري كانوا اعظم ملاك الاراضي في الدولة وكان هشام بن عبدالملك ووالية خالد القسري يتحكمان في اسعار المواد الغذائية وحركة البيع والشراء بسبب احتكارهما كميات هائلة من الحبوب(٣) .

وتبع تحول المقاتل الى ملاك ارض تحول خلافة الرسول الجمهورية الى ملكية مطلقة قائمة على اساس الوراثة والتعيين واخذ البيعة اكراها ، واضمحل مجلس الشورى وانفصل المسجد عن دار الامارة واصبحت دار الامارة بلاطا .

وبالرغم من ان الضرائب والواردات والرسوم في العهد الاموي احتفظت شكليا بكونها ضرائب حربية مرتبطة بالقتال « الجزية ، الغنائم ، الخراج ، العشر ، الفيء .. » الا انها كانت في الواقع ضرائب فقدت صلتها بالحرب لانها كانت تجبى حتى من الذين اسلموا والمفروض ان تسقط عنهم وكان بقاؤها ادامة وتمويلا للطبقة الحاكمة التي لم تعد راغبة بالحرب مقدار رغبتها بالارض ويتضح هذا بجلاء في تحول المعسكرات ودور الهجرة الاولى الى مجتمعات اقطاعية مستقرة كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان .

وقد حاول الخليفة عمر بن عبدالعزيز انتزاع ملكية الارض من المغتصبين وبدا بنفسه فرد ضياعه ومجوهرات زوجه لبيت المال ومزق وثائق ملكيتها ثم استدعى اعضاء الاسرة الحاكمة وحضهم على اعادة الثروات المغتصبة فاجابوه : طالما لم تفصل رؤوسنا عن اجسادنا فلن تعود تلك الضياع والله لن نتهم آباءنا واجدادنا بالكفر وكذلك لن ندفع باطفالنا الى التربه (٤) . ولقد كان منطق الحقائق والشروط الموضوعية لحركة التاريخ اقوى من عمر بن عبدالعزيز فتآمروا عليه ودسوا له السم وتخلصوا منه .

---

(٥) سيرة بن هشام ـ ص٣٣٦ جـ١ .. وراجع كذلك محاضرات في تاريخ العرب جـ١ بخصوص الحياة الجنسية الجاهلية.

(٦) تاريخ الاسلام ـ جـ١ ص١٦٥ .

(١) تاريخ الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن جـ١ ص٣٢٥ .

(٢) الخراج في الدولة الاسلامية ـ محمد ضياءالدين الريس ص ١٤١ .

(٣) الادارة العربية ـ حسيني ـ ص١٢٩ .

(٤) المرجع السابق ـ ص ١٤٠ـ١٤٢ .

وحقيقة الاقطاع في عهد الامويين انه لم يكن صورة طبق الاصل من الاقطاع العبودي في الجاهلية ، ولا من الاقطاع الذي كان سائدا في فارس وبيزنطية قبل الفتوح فلقد قضى المسلمون على كثير من مفاسد الاقطاع الصارخة لانهم تمسكوا بالمساواة النابعة من روح الاسلام ، كما خففت كثير من الاعباء المالية الملقاة على عاتق الاقنان والعبيد وفي مقدمتها « السخرة » وفتحت امامهم اكثر من باب واحد لكي يشتروا حريتهم ويتجاوزوا واقعهم وحتى نظام الاخصاء على عيوبه كان خطوة للقضاء على العبودية لان الخصيان لا يمكن ان يساهموا في استمرار سلسلة العبيد والارقاء وديمومة نظام الرق عن طريق الانجاب . ولم يعد الفلاحون مرتبطين بالارض يباعون معها اذا بيعت وانما هم مخيرون بالعمل مع المالك الجديد او البحث عن وسيلة رزق اخرى وبذلك يعتبر الاقطاع الاموي رغم مساوئه خطوة تقدمية بالنسبة لعبودية الجاهلية .

وفي عهد بني امية اتسعت رقعة الدولة الاسلامية فبلغت غربا سواحل الاطلسي وبلغت شرقا سور الصين وادركوا شمالا سواحل الخزر ، ومن مآثرهم تعريب الدواوين وسك العملة العربية واستصلاح الارض وتطوير الزراعة وتشجيع العمران وحركة البناء .

وقد تعاقب على الحكم الاموي بعد معاوية «(٤١-٦٠هـ)» يزيد بن معاوية «(٦٠-٦٣)» ومعاوية الثاني «(٦٣هـ)» ومروان بن الحكم «(٦٤-٦٥)» وعبدالملك بن مروان «(٦٥-٨٦)» والوليد بن عبدالملك «(٨٦-٩٦)» وسليمان بن عبدالملك «(٩٦-٩٩)» وعمر بن عبدالعزيز «(٩٩-١٠١)» ويزيد بن عبدالملك «(١٠١-١٠٥)» وهشام بن عبدالملك «(١٠٥-١٢٥)» والوليد بن يزيد «(١٢٥)» ويزيد بن الوليد «(١٢٦هـ)» ثم مروان بن محمد «(١٢٧-١٣٢هـ)» (٥) .

وفي نهاية الحكم الاموي لم يعد المجتمع العربي امة عربية لغتها واحدة ، ودينها واحد ، وخيالها واحد كما كان في عهد الرسول بل كانت جملة امم وجملة نزعات وجملة لغات متمازجة فقد امتزجت العادات الفارسية والرومانية بالعادات العربية ، وقانون الفرس والقانون الروماني بالاحكام الاسلامية وفلسفة الفرس والروم بحكمة العربي وآدابه ، ونمط السياسة والحكم الفارسي والرومي بنمط السياسة والحكم العربي (٦) يضاف الى كل هذا ان نظام الرق والولاء الذي جعل لكل جندي عربي عددا من العبيد يستخدمهم في حوائجه وعددا من الاماء يستولدهن ان شاء جعل البيت العربي مختلطا دخلته عناصر اخرى فارسية ورومانية وبربرية (٧) .

وفي هذا المجتمع الجديد انعزلت الطبقة الحاكمة وتقوقعت على ذاتها كما تقدم بيانه واعطيت الفرصة للمحكومين عربا وموالي لان يتكتلوا ضدها ويعملوا على اسقاطها فكانت الثورة العباسية .. وهي ثورة اقتصادية عقائدية تستهدف نظام حكم اصبح في اخريات ايامه معزولا عن الشعب قبل ان تكون ثورة موالي تستهدف العروبة كما يصورها بعض المؤرخين وكانت نقطة اندلاعها ارض الفتوحات .

(٥) تاريخ الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن ص ٣٠٠ .
(٦) فجر الاسلام ـ ص٩٣-٩٦ ط٩ .
(٧) المرجع السابق .

الصحيفة الثانية ـ الفتوح والشعر

١ ـ الفتوح :

الحرب كارثة تاتي على الزرع والنسل والعمران ، والفكر الحديث يفرق بين حرب عادلة وحرب غير عادلة عن طريق الربط بينها وبين البنيان الاجتماعي والاقتصادي واقرار التناسب بين اساليبها ومستوى تطور الانتاج . فالحرب العادلة هي التي تتصدى لتحطيم اشد المؤسسات ضررا ورجعية واشد الانظمة المستبدة اغراقا في الجور والوحشية ، والحرب غير العادلة هي التي يثيرها مالكو العبيد من اجل تقوية العبودية واستعباد الامم واطالة عمر الاستعمار (١) .

ومن هذا الربط بين البنيان الاجتماعي والحرب تبدو حتمية الحرب في المجتمع الطبقي الذي يساعد على نشوء الجيوش المحترفة ويضع في قيادتها كبار رجال المال والاحتكارات ، اما الحروب التي تخوضها الاشتراكية فالمفروض انها لحماية مكاسب الانسان والدفاع عن الحضارة والسلم (٢) .

ومن هذا الربط بين البنيان الاجتماعي والحرب يبدو صواب النظرية التي ترى الحرب استمرارا للسياسة بوسائل اخرى ، اي بوسائل العنف (٣) . ولا تنحصر سياسة الدولة في وضع الاهداف فقط وانما تحاول خلق الاوضاع المواتية لتحقيق الاهداف .. ففي وسع السياسة ان تعبىء الى اقصى حد ممكن الموارد المالية والبشرية لتامين عمليات القوات المسلحة (٤) .

ومن الربط بين البنيان الاجتماعي والحرب نكتشف ان الصراعات في البلاد الرأسمالية بين الشعب والحكومة وبين الشعب والجيش وبين الحكومة والجيش تاتي على اهم عناصر النصر وهو الروح المعنوية ولذلك تلجأ هذه الدول الى اجهزة الاعلام لتاجيج الروح المعنوية بشعارات مزيفة خداعة ، وليس من قبيل الصدفة ان الجيش الذي يستند الى خلفية تتميز بالوحدة الطبقية يبز غيره في استقرار الروح المعنوية ويحافظ على المستوى المطلوب طيلة الحرب (٥) .

وقد خاض العرب عدة حروب في جاهليتهم واسلامهم ولم يشع على السنتهم مصطلح الحرب ـ غالبا ـ الا وهو مقترن بقرينة تدل على سلوك اخلاقي غير مشرف ففي جاهليتهم وصفوا بعض معاركهم بحرب الفجار ، وفي اسلامهم وصفوا بعضها بحروب الردة ، ويقال : يحاربون الله ورسوله اي يعصونه .

اما المعارك التي يفخرون بها فعرفت في جاهليتهم « بايام العرب » ويعنون بالايام « الوقائع » وانما خصوا الايام دون ذكر الليالي لان حروبهم كانت نهارا .. ومنها البسوس وداحس والغبراء والنقرات ورحرحان واليعمرية والهباءة وشواحط ويوم ذي طلوح .. الخ (٦) .

وعرفت معارك الرسول بالمغازي او الغزوات ، والغزو

(١) راجع كتاب الاشتراكية والحرب ـ لنين ص٥ ، ص١٢ .
(٢) راجع كتاب الاستراتيجية العسكرية السوفياتية ـ سوكولوفسكي ـ ترجمة خيري حماد ص٨٠ .
(٣) الاشتراكية والحرب ـ ص١٣ .
(٤) الاستراتيجية العسكرية السوفياتية ـ ص٥٩ .
(٥) المرجع السابق ـ ص ٨٦، ٨٨، ٩٠ .
(٦) العقد الفريد ـ الجزء السادس ـ تحقيق محمد سعيد العريان ص ٣-١١ .

هو القصد ومنه المغزى : المعنى المقصود . اما المعارك التي جرت بين العرب والفرس او بينهم والروم فعرفت بالفتوح .. الفتح كلمة تدل على الخصوبة والخير عند العرب . فالفتح النهر او الماء الجاري فيه والفتح اول المطر الوسمي او هو المطر ، والفتح النصر ويستعمل فعل الفتح حين يدور الحديث عن الامال الكبيرة فيقال تفتح لهم ابواب السماء ، وتفتح لهم ابواب الرحمة ، وتفتح لهم ابواب الجنة (٧) .. ويخيل الي ان كلمة الفتح تدل على علاقة تعاطف وتراض بين من وراء الابواب ومن امامها ولعل الفتوح الاسلامية كانت تتضمن هذه العلاقة فسميت كذلك .

وقد فهم المسلمون في ضوء توجيهات القرآن الكريم بانها جهاد في سبيل الله :

* اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير (٨) .
* قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين (٩) .
* واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم (١٠) .
* الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا (١١) .

وتبدو حقيقة الفتوح الاسلامية حين تربط بالبنيان الاجتماعي والاقتصادي حروبا تقدمية عادلة ، وان عوامل نجاحها كامنة في طبيعة المجتمع العربي الاسلامي نفسه . فمما لاشك فيه ان الفتوح الاسلامية استمرار للسياسة الاسلامية وان تقدميتها وعدالتها نابعة من تقدمية الاسلام وعدالته فهو ثورة تحررية ألغت الفوارق الطبقية ووحدت العرب وقضت على الوثنية والشوفينية ، وكانت أنباء هذه الثورة تسبق الفتوح الى الدول المحيطة وتخلق امام الجيوش العربية الظروف المواتية للظفر .. ومن عدالة الفتوح العربية انها ادت الى تحرير الشعوب المضطهدة في فارس وبيزنطة وحطمت اشرس قلعتين من قلاع الرجعية والاستغلال كانتا تتنافسان من اجل نهب العالم واقتسام العبيد .

ومن عوامل نجاح الفتوح ارتفاع الروح المعنوية عند العربي الذي جعله الاسلام فارسا يحلم بعالم اخر اكثر اشراقا ونبلا في الوقت الذي كان فيه المحارب الفارسي او البيزنطي عديم الثقة بالحرب التي يخوضها وسيىء الظن بقادته .

ومن عوامل نجاح الفتوح ان اقتصاد الدولة العربية كان اقتصادا ناميا بسبب التحسينات التي ادخلت على الزراعة ، وحل مشكلة الارض بشكل يحقق اوفر غلة مما هيأ مستوى انتاجيا قادرا على تغذية الجيوش مقابل الازمات المالية الخانقة التي كانت تثقل كاهل العدو وتحد من فعالياته .

---

(٧) راجع مادة فتح في لسان العرب وأقرب الموارد والمنجد والقاموس المحيط .
(٨) سورة الحج ـ ٣٩ .
(٩) سورة التوبة ـ ٣٦ .
(١٠) البقرة ـ ١٩٠ .
(١١) النساء ـ ٧٦ .

ومن عوامل نجاح الفتوح العربية تفتح القادة على الحركة العلمية واستفادتهم من التطور الحضاري ففي الوقت الذي لم يالف العرب فيه ركوب البحر كان عمر بن الخطاب يعارض رغبة معاوية في منازلة خصومه في البحر ولكن معاوية بعد ان تمكن من تجهيز اسطول بحري استطاع ان يحقق رغبته وان يهاجم قبرص ثم يتجاوزها للهجوم على القسطنطينية .

ويلاحظ ان تدهور الحياة العسكرية العربية وتضاؤل الفتوح كان خطا موازيا لتدهور الاقتصاد العربي وانقسام المجتمع العربي الى طبقات متعادية .. اي ان تفتت « الامة الطبقة » ادى الى تمزق الجيوش وتفتتها واكبر الهزات التي منيت بها انتقام سليمان بن عبدالملك من قادة الفتح وفي مقدمتهم قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم وموسى بن نصير .. وانعكس كذلك تحول الفئة الحاكمة المقاتلة الى طبقة اقطاعية على الجيش فلم يعد الحكام والولاة قادة مقاتلين في شخصيات الخلفاء المتأخرين وانما تحولوا الى شعراء غزليين ماجنين امثال الوليد بن يزيد .. والاهداف التحررية الكبيرة التي شغلت قادة الجيوش الزاحفة لم تعد في نهاية الحكم الاموي اهدافا كبيرة وشغلتهم اهداف اصغر منها كتأمين البيعة لاخ ضد اخيه وتقديم رؤوس الابطال الفاتحين نياشين لسادة البلاط وبالتالي لم تعد روحية الشاعر الذي حارب في القادسية توازي روح المقاتل في معركة مرج راهط .

٢ ـ الشعر في الجبهة الشرقية :

كانت بداية انفتاح الامة العربية على العالم الخارجي كما ذكرنا الكتب والبعوث التي ارسلها الرسول للدول المجاورة ، وقبيل وفاته ابدى رغبته بتجهيز حملة عسكرية بقيادة اسامة بن زيد لقتال الروم وقد حقق ابو بكر تلك الرغبة ، وكان النصر الذي احرزه اسامة اول نصر يحرزه الاسلام على اعدائه من غير العرب وكانت توصيات الخليفة لجيش اسامة اروع تشريع لاداب القتال يظهر الوجدان العربي بجلاء وصفاء فقد اوصاهم ان لا يخونوا ولا يغدروا ، ولا يغلو ولا يمثلوا ، ولا يقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امراة ولا يعقروا نخلا ولا يحرقوه ولا يقطعوا شجرة مثمرة ، ولا يذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لماكله ولا يتعرضوا لاصحاب الصوامع ولاياكلوا ما لم يذكر عليه اسم الله .

وقد التزم المسلمون بهذه الوصايا وكانت في مقدمة اسلحتهم التي فتحوا بها البلدان .. فقد جاء في كتاب « حضارة العرب » لغوستاف لوبون قوله :

لم يكن سلوك عمرو بن العاص بمصر اقل رفقا .. فقد عرض على المصريين حرية دينية تامة ، وعدلا مطلقا واحتراما للاموال وجزية سنوية لا تزيد على خمسة عشر فرنكا عن كل رأس بدلا من ضرائب القياصرة الباهظة فرضي المصريون طائعين شاكرين بهذه الشروط دافعين للجزية سلفا وقد بالغ العرب في الوفوف عند حد هذه الشروط والتقيد بها فاحبهم المصريون الذين ذاقوا الامرين من ظلم عمال القياصرة واقبلوا على اعتناق دين العرب ولغتهم ايما اقبال (١) .

وجاء في « الدعوة الى الاسلام » لسير توماس و . ارنولد قوله :

كان الاضطهاد الواقع على الشعب الفارسي علة ذلك الانتصار الذي حالف الفتح العربي وجعله يظهر في صورة تخليص

---

(١) ص١٣٥ ط٣ ترجمة عادل زعيتر .

الاهلين مما اصبحوا فيه ، وما ان تم للمسلمين ما ارادوا على هذا الوجه حتى تنفس الفرس انفسهم الصعداء ورحبوا بالعرب حبا في الخلاص من ظلم الحكام اولا ورغبة في اعفائهم من الخدمة العسكرية ثانيا ثم املا في تمتعهم بالحرية الدينية في آخر الامر (٢) .

ثم توالت انتصارات العروبة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد انتصر سعد بن ابي وقاص في معركة القادسية (١٥هـ) وتم بعد ذلك فتح جلولاء (١٦هـ) واصبهان (١٩هـ) ونهاوند (٢١هـ) والاهواز وطبرستان وجرجان (٢٢هـ) وقتل يزدجر في خراسان (٣١ هـ) .

وحينما تأسست الدولة الاموية لم يكن امامها الا ان تتوسع في فتوح ما وراء النهر ، وازدهرت هذه الفتوح في خلافة الوليد بن عبدالملك بصورة خاصة حين ولى الحجاج بن يوسف قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان (٨٦هـ) وكانت بلخ اول جهة قصدها قتيبة ثم عبر نهر جيحون الى بلاد الصغانيان فطلبوا وده ، وفي سنة (٨٧هـ) غزا بيكند وفتح (٨٨هـ) كرمينيه وسار الى بخارى وفتحها بعد عناء ومشقة وفي (٩٣هـ) فتحت مدن خوارزم صلحا وسمرقند بعد قتال شديد وحاول (٩٦هـ) اقتحام الصين .

ومن جهة اخرى عهد الحجاج الى محمد بن القاسم بغزو الهند فسار اليها سنة (٨٩هـ) حتى بلغ نهر السند .

اما المهلب بن ابي صفرة فقد اشتهر بقتاله للخوارج واستعادة وحدة الارض اضافة الى غزواته في بلاد فارس .

وقد سجل الشعراء الذين رافقوا الفتوح في هذه الجبهة وقائعها وكانت الحصيلة الشعرية في هذه الجبهة اغنى من غيرها .. وتمتاز هذه الحصيلة اولا بظاهرة التسجيل الوثائقي وسرد قصص المعارك والتعبير عن فرحة العربي بالنصر الذي يأخذه عنوة من خصم يضاهيه بالبطولة والشجاعة والقوة دون ان يبخس حقه او يطفف ميزانه كقول الشاعر :

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد
شبت لنا ولهم نارا لها شرر
تلقى مساعير ابطالا كانهم
جن نقارعهم ما مثلهم بشر
نسقي ونسقيهم سما على حنق
مستانفي الليل حتى اسفر السحر
فتلى هنالك لا عقل ولا قود
منا ومنهم دعاء سفكها هدر
حتى تنحوا لنا عنها تسوقهم
منا ليوث اذا ما اقدموا جسروا
فمن يفز عنهم غداة التل كيدهم
عند الطعان ولا المكر الذي مكروا
باتت كتائبنا تردى مسومة
حول المهلب حتى نور القمر (٣)

وقد صور شعراء الفتوح سلوك الجندي العربي واخلاقيته فهو داعية للنور يفرج الظلماء ، وهو صابر متأس لا يجزع من الهول ، وهو شجاع لا ينبو ولا يجبن وهو ثابت لا يتزحزح وحتى خيولهم ومطاياهم التي يمتطونها لها ما لهم من الثبات والصبر على المكاره والدماء :

والترك تعلم اذ لاقى جموعهم
ان قد لقوه شهابا يفرج الظلما
بفتية كأسود الغاب لم يجدوا
غير التأسي وغير الصبر معتصما
ترى شرائج تغشى القوم من علق
ولا ترى نَبْوةً منهم ولا كرما
وتحتهم قُرحٌ يركبن ما ركبوا
من الكريهة حتى يبتلعن دما
في حازة الموت حتى جن ليلهم
كلا الفريقين ما ولى ولا انهزما (٤)

ومدح شعراء الفتوح قادة المعارك وابطالها وكان المديح لا يصب على ذواتهم الشخصية بمقدار ما يتوجه اليهم باعتبارهم يمثلون امة او قبيلة او يمثلون قيمة من القيم العليا التي تستثير الاعجاب :

ترى ذا الغنى والفقر من كل معشر
عصائب شتى ينتوون « المفضلا » (٥)
فمن زائر يرجو فواضل سيبه
وآخر يقضي حاجة قد ترحلا
اذا ما انتوينا غير ارضك لم نجد
بها منتوى خيرا ، ولا متعللا
اذا ما عددنا الاكرمين ذوى النهى
وقد قدموا من صالح كنت اولا
لعمري لقد صال المفضل صولة
اباحت « بشومان » المناهل والكلا (٦)

وقال شاعر آخر يمدح قتيبة بن مسلم الباهلي :

ابلغ ابا حفص قتيبة مدحتي
واقرا عليه تحيتي وسلامي
ياسيف ابلغها فان ثناءها
حسن وانك شاهد لمقامي
يسمو فتتضع الرجال اذا سما
لقتيبة الحامي حمى الاسلام
لافر منتجب لكل عظيمة
نحر يباح بها العدو ، لهام
يمضي اذا هاب الجبان واحمشت
حرب تسعر نارها بضرام
تروي القناة مع اللواء امامه
تحت اللوامع ، والنحور دوام
والهام تقربه السيوف كأنه
بالقاع حين تراه قيض نعام
وترى الجياد مع الجياد صنوامرا
بفنائه لحوادث الايام
وبهن انزل « نيزكا » من شاهق
و « الكرز » حيث يروم كل مرام
واخاه « شقرانا » سقيت بكأسه
وسقيت كأسهما « اخا باذام »
ونزلت « صولا » حين صال مجندلا
بركبنه بدوابر وحوام (٧)

---

(٢) ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين ط٢ ص ٢٣٥-٢٣٦ .
(٣) الطبري ـ ص١٣٤ جـ٥ والشعر لكعب الاشقري .
(٤) المرجع السابق ـ ص١٦٠ والشعر لكعب الاشقري .
(٥) المفضل : بن محمد احد قادة فتح خراسان .
(٦) المرجع السابق ص ١٩٥ .
(٧) المرجع السابق ـ ص ٢٤٠ شعر المغيرة بن حبناء .

وبازاء مديح الابطال والتغني بامجادهم كان شاعر الفتوح يرثي شهداء المعركة وينذب فادتهم حين يجودون بالنفس ومن ذلك قول لشاعر يرثي اصدقاءه في احدى معارك قزوين :

خليلي هبا طال ما قد رقدتما
اجدكما لا تقضيان كراكما
الم تعلما اني بقزوين مفرد
ومالي فيها من خليل سواكما
مقيما على قبريكما لست بارحا
طوال الليالي او يجيب صداكما
سابكيكما طول الحياة وما الذي
يرد على ذي لوعة لو بكاكما (٨)

وحين يرثي شاعر الفتوح القادة لا يركز على جانبهم الشخصي بمقدار تركيزه على جانبهم الاعتباري :

لله قبر « هبيرة بن مشمرج »
ماذا تضمن من ندى وجمال (٩)
وبديهة يعيابها ابناؤها
عند احتفال مشاهد الاقوال
كان الربيع اذ السنون تتابعت
والليث عند تكعكع الابطال
فسقت بقرية حيث امسى قبره
غر يرجن بمسبل هطال
بكت الجياد الصافنات لفقده
وبكاه كل مثقف عسال
وبكته شعث لم يجدن مواسيا
في العام ذي السنوات والامحال (١٠)

ولقد تحول رثاء قتيبة بن مسلم الباهلي حين اهدر دمه سليمان بن عبدالملك الى مفاخرة وتحد ومطاولة :

الم يان للاحياء ان يعرفوا لنا
بلى نحن اولى الناس بالمجد والفخر
نقود تميما والموالي ومذحجا
وازد وعبدالقيس والحي من بكر
نقتل من شئنا بعزة ملكنا
ونجبر من شئنا على الخسف والقهر
سليمان كم من عسكر قد حوت لكم
اسنتنا والمقربات بنا تجري
وكم من حصون قد ابحنا منيعة
ومن بلد سهل ، ومن جبل وعر
ومن بلدة لم يغزها الناس قبلنا
غزونا نقود الخيل شهرا الى شهر
مررن على الغزو المرور ووقرت
على النفر حتى ما تهال من النفر
وحتى لو ان النار شبت واكرهت
على النار خاضت في الوغى لهب الجمر
تلاعب اطراف الاسنة والقنا
بلباتها والموت في لجج خضر
ولو لم تعجلنا المنايا لجاوزت
بنا ردم ذي القرنين ذا الصخر والقطر
ولكن آجالا قضين ، ومدة
تناهى اليها الطيبون بنو عمرو (١١)

ولقد اهتم شاعر الفتوح الى جانب العنصر الانساني فيها بالعنصر المادي حيث وردت اشارات كثيرة الى الغنائم والجزية والفيء ولكن هذه الاشارات لم تكن تخاطب الروح المادية فقط ولكنها تهدف الى بيان روحانية العربي وانسانيته ففي قسمة الغنائم العادلة دليل على حب العدل والمساواة ، وفي كثرتها ووفرتها رمز للبطولة وسمة الفتح ، وفي هبتها للاتباع والجند اشهار لقيمة الندى والكرم ومن هذا القبيل شعر لتوسعة بن نهار :

الا ذهب الغزو المقرب للفتى
ومات الندى والجود بعد المهلب
اقاما « بمرو الروذ » رهني ضريحة
وقد غيبا عن كل شرق ومغرب
اذا قيل اي الناس اولى بنعمة
على الناس قلناه ولم نتهيب
اباح لنا سهل البلاد وحزنها
بخيل كارسال القطا المتسرب
يعرضها للطعن حتى كانما
يجللها بالارجوان المخضب (١٢)

وحين فتح قتيبة الصغد ذكر « نهارا » بهذه الابيات وقال له : افغزو هذا بانهار ؟ قال : لا .. هذا احسن وانا الذي اقول :

وما كان مد كنا ولا كان قبلنا
ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
اعم لاهل الترك قتلا بسيفه
واكثر فينا مقسما بعد مقسم (١٣)

وكذلك اهتم شاعر الفتوح بالاماكن الجديدة والمناخات الجديدة ولم يكن اهتمامه مطلقا ولكنه ملون بمشاعر المحارب ومن خلال منظاره العسكري ومن ذلك :

هبت شمال خريق اسقطت ورقا
واصفر بالقاع بعد الخضرة الشيح
فارحل هديت ولا تجعل غنيمتنا
ثلجا يصفقه « بالترمذ » الريح
ان الشتاء عدو ما نقاتله
فاقفل هديت وثوب الدفء مطروح (١٤)

---

(٨) فتوح البلدان للبلاذري ـ ص ٣٩٩ .
(٩) هبيرة رئيس الوفد الذين وطأوا تراب الصين واتته المنية في طريقه الى الوليد بن عبدالملك .
(١٠) المرجع السابق (الطبري) ص٢٧١ والشعر لسوادة .
(١١) الطبري ـ ص٢٨٥ والشعر لاعم بن الحجاج .
(١٢) الطبري ـ ص١٦٣ .
(١٣) الطبري ـ ص٢٥٤ .
(١٤) فتوح البلدان ـ البلاذري ص٥٠٨ ج٣ والشعر لمالك بن الريب .

٣ ـ الشعر في الجبهة الغربية :

يكاد يكون اغلب الجبهة الغربية فتح قبل تاسيس الدولة الاموية كذلك (١) ، وكان اول من اجاز الدرب الى الروم القائد العربي عياض بن غنم . وقد تم فتح مصر على يد عمرو بن العاص في (٢٠هـ) وفي (٢١هـ) فتحت برقة تامينا للحدود الغربية لمصر وفي (٢٢هـ) فتحت طرابلس عنوة وقصد نافع الفهري بلاد النوبة. وفي (٢٧هـ) توغل العرب داخل افريقيا ، وفي (٣٤هـ) ركب العرب البحر في معركة ذات الصواري بقيادة عبدالله بن سعد بن ابي سرح . وفي (٥٠هـ) قاتل المسلمون البربر في المغرب بقيادة عقبة بن نافع .. وتكامل فتح شمال افريقيا حتى مدينة طنجة في (٨٨هـ) بقيادة موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد .

وما ان استتب الامر للعرب في المغرب حتى فكروا بعبور البحر نحو اوربا وكانت اول محاولة لوطء ترابها على يد القائد طريف بن مالك في (٩١هـ) وقد شجع نجاح حملته مجددا وغنائم موسى بن نصير ان يندب مولاه طارقا لركوب البحر فركبه (في شعبان ٩٢ هـ) وفي الضفة الاخرى احرق السفن ليكون البحر من ورائهم والعدو من امامهم وليوصد امام من يتخاذل ابواب الفرار .

وقد انتصر طارق وانتصرت العروبة وتطلعوا بعد ذلك الى ما وراء جبال البرانس وتوغلوا الى حوض الرون واقليم برغنديه بقيادة عنبسه بن سحيم الكلبي الذي واتته المنية اثناء عودته من مدينة ليون (١٠٧هـ) .

وبالرغم من سعة الجبهة الغربية وتعدد معاركها فان كتب التاريخ وكتب الادب لم تحتف بما قيل فيها من شعر ولم ترو شيئا يعكس تجارب العربي في هذه الجبهة ولعل الشعر الذي نظم في هذه الفتوح قد ضاع (٢) . ويقول احد الباحثين : لسنا نجد نقلا ولو باهتا يصور انسياح الفاتحين في افريقية وفتحهم لبرقة وطرابلس وما حولهما (٣) . وحتى لو لم تبخل علينا المراجع فان الشعر الذي سترويه سيكون منسوبا لصدر الاسلام في غالبيته .. وقد حارب في الجبهة الغربية من الشعراء الهذليان ابو ذؤيب وابو العيال وقد لقي ابو ذؤيب مصرعه اثناء عودته من فتح افريقيا في اواخر عهد عثمان بن عفان واخر ما قاله :

ابا عبيد رفع الكتاب
واقترب الوعيد والحساب
وعند رحلي جمل منجاب
احمر في حاركه انصباب (٤)

ومما يروى لابي العيال رسالة بعثها الى معاوية من ارض المعركة ويعتقد انها في عهد ولايته لا خلافته منها :

من ابي العيال ابي هذيل فاعرفوا
قولي ولا تتجمجموا ما ارسل
ابلغ معاوية بن صخر آية
يهوي اليك بها البريد المعجل

(١) راجع ابن الاثير وتاريخ الاسلام لحسن ابراهيم حسن .
(٢) راجع شعر الحرب في ادب العرب ـ زكي المحاسني ص١٣٢.
(٣) راجع كتاب شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ـ للصميدي ص١٦٧ .
(٤) راجع دراستنا عن ابي ذؤيب في كتابنا شيء من التراث ص ٧١ـ١٠٥ .

والمرء عمرا فانه بصحيفة
منى يلوح بها الكتاب المنمل
والى ابن سعد ان اخره فقد
أزرى بنا في قسمه اذ يعدل
في القسم يوم القسم ثم تركته
اكرامه ولقد ارى ما يفعل
والى اولى الاحلام حيث لقيتهم
حيث البقية والكتاب المنزل
... الخ . (٥)

ويروي صاحب نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب الابيات التالية لطارق بن زياد اثناء فتح الاندلس نقلا عن كتاب «المسهب» و « ابن اليسع » :

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا
عسى ان يكون الله منا قد اشترى
نفوسا واموالا واهلا بجنة
اذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا
اذا نحن ادركنا الذي كان اجدرا

ويعقب عليها : وهذه الابيات مما يكتب مراعاة لقائلها ومكانته لا لعلو طبقتها (٦) .

٤ ـ الشعر في الجبهة الشمالية :

اذا كان الامويون قد توسعوا شرقا وغربا فانهم لم يتجاوزوا في الجبهة الشمالية ابعد نقطة بلغها الخلفاء الراشدون لانشغالهم بالمعارك الداخلية التي فتتت « الامة ـ الطبقة » واكثر من هذا فقد اضطر عبدالملك بن مروان لدفع اتاوة للروم ليؤمن حدوده . وكانت المعارك في الجبهة الشمالية موسمية لا تقع الا صيفا فعرفت « بالصوائف » (١) .

وقد تم في هذه الجبهة فتح اغلب مدن الشام : دمشق ، حمص ، بعلبك ، حلب ، انطاكية ، بيسان ، بيت المقدس خلال العامين (١٥ـ١٦هـ) وفي (٢٥هـ) بلغ معاوية عمورية ، وفي (٢٨هـ) فتحت قبرص في البحر الابيض المتوسط ، وفي (٤٨هـ) غزا العرب القسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف ولم توفق الحملة ، وفي (٥٤هـ) فتحت جزيرة ارواد قرب القسطنطينية ، وفي (٨٧هـ) فتحت سوسنة والمصيصه ، وفي (٩٢هـ) فتحت جزيرة سردانية .

ولم يرو المؤرخون كثيرا من الشعر الذي قيل في هذه الجبهة وما بلغنا منه نزر ضئيل وبعضه قيل قبل حكم الدولة الاموية ومنه ما انشده عبدالعزيز بن زرارة الكلبي احد المقاتلين في حرب القسطنطينية .

قد عشت في الدهر اطوارا على طرق
شتى فصادفت منها اللين والبشعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرني
ولا تجشمت من لاوائها جزعا

(٥) ديوان الهذليين ـ طبعة دار الكتب جـ٢ ص٢٥٢ـ٢٥٥ .
(٦) نفح الطيب ـ الجزء الاول ص٣٤٨ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .
(١) راجع تاريخ ابن خلدون .

لا يملأ الامر صدري قبل موقعه
ولا اضيق به ذرعا اذا وقعا

ثم حمل على القوم وانغمس فيهم فشجره الروم برماحهم حتى استشهد وقد قال ابوه لما بلغه نعيه :

فان يكن الموت اودى به
واصبح مخ الكلابي زبرا
فكل فتى شارب كأسه
فاما صغيرا واما كبيرا (٢)

ومن شعراء الجبهة الشمالية عبدالله بن سبره الحرشي الذي قطعت يده اثناء نزاله مع قائد من قادة الروم فقال يرثيها :

يمنى يدي عدت مني مفارقة
لم استطع يوم « فلطاس » لها تبعا
وقائل غاب عن شاني وغائبة
هلا اجتنبت عدو الله اذ صرعا
وكيف اتركه يسعى بمنصله
نحوي وأعجز عنه بعدما وقعا
ماكان ذلك يوم الروع من خلقي
ولو تقارب مني الموت فاكتنعا
ويل امه فارسا اجلت عشيرته
حامي وقد ضيعوا الاحساب فارتجعا
يمشي الى مستميت مثله ، بطل
حتى اذا امكنا سيفيهما امتصعا
كل بنوء بماضي الحد ، ذي شطب
جلا الصياقل عن دربه الطبعا
حاسيته الموت حتى اشتف آخره
فما استكان لما لاقى ولا جزعا
كان لمته هداب مخملة
أحم ، ازرق لم يشمط وقد صلعا
فان يكن « ارطبون » الروم قطعها
فقد تركت بها اوصاله قطعا
بنانتين « وجلدورا » اقيم بها
صدر القناة اذا ما آنسوا فزعا (٣)

وقال الشاعر ابن عرس العبدي في حادثة خذلان مني بها العرب امام الاتراك في « سمرقند » وهي تقع في اقصى الشمال الشرقي من الدولة الاموية .

اين حماة الحرب من معشر ... كانوا جمال المنسر الحارد
بادوا بآجال توافوا لها ... والعائر المهمل كالبائد
كنا قديما يتقى باسنا ... وندرا الصادر بالوارد
حتى منينا بالذي شابنا ... من بعد عز ناصر آئد

ثم يخاطب قائده الذي بكى بسببها :

تبكي لها ان كشفت ساقها ... جدعا وعقرا لكَ من قائد
تركتنا اجزاء معبوطة ... يقسمها الجازر للناهد
اضحت سمرقند واشياعها ... احدوثة الغايب والشاهد

ثم يذكر الابطال الصرعى :

فكم ثوى في الشعب من حازم ... جلد القوى ذي مرة ماجد
يستنجد الخطب ويغشى الوغى ... لاهايب ، غس ، ولا ناكد (٤)

(٢) ابن الاثير ـ جـ٣ ص٤٥٩ .
(٣) شعر الحرب عند العرب ـ ص١٣٠ ، والشعر الملحمي لاحمد ابو حاقه ١١٩ـ١٢٠ .
(٤) شعر الحرب عند العرب ـ ص١٢٦ ـ ١٢٧ .

٥ ـ قصيدة الفتوح :

شعر الفتوح الاموية حلقة وسطى لها قبل ولها بعد اما ما قبله : فلقد عرف الشاعر الجاهلي نوعا شبيها به هو الشعر الذي كانوا يتناشدونه اثناء وقائعهم او ارهاصا بها او نتائج لها ، ثم جاء الاسلام فازدهرت القصيدة الحربية اثناء غزوات الرسول وقد جمع لنا ابن هشام في سيرته طائفة لا يستهان بها من شعر الذين ناصروا الدعوة وانضووا تحت لوائها ، ومثلها من شعر الذين وقفوا منها مواقف مناوئة عدائية .

واما ما بعد شعر الفتوح الاموية فان الحرب لم تضع اوزارها في عهد العباسيين ولا في عهد دويلات الطوائف وربما كانت اجود انواع القصائد الحربية في تاريخنا الادبي هي تلك التي انشدها ابو تمام في عمورية وغيرها ، ثم سيفيات المتنبي وحماسيات ابي فراس الحمداني ..

ورغم كون القصيدة الحربية رافقت العربي طيلة عصور التاريخ العربي الا ان النقد الادبي لم يستطع ان يبلور ابعادا خاصة لها تميزها عن غيرها كما بلور حدودا مميزة لقصيدة النسيب والمديح والرثا والهجاء (١) .. ونجد ملامح هذا النوع الشعري في باب الافتخار حينا وباب الحماسة حينا آخر .

فهم يضعون في باب الحماسة ما يقال في حمل النفس على المكروه ، وفي الفتك ، ومكاشفة الاعداء ، والاستعداد للقتال ، والانفة والامتناع عن الضيم والخسف ، وركوب الموت خشية العار ، والاخذ بالثار ، وغير ذلك من المعاني التي تدور حول القتال (٢) .

وهم يقولون عن حد الافتخار انه مديح ولكن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار وينكر قدامة ان يمدح الانسان بآبائه دون ان يكون ممدوحا بنفسه (٣) .

ويعزو احد الباحثين المعاصرين اغفال النقاد للقصيدة الحربية وعدم بلورة مفاهيم مميزة لها انها لم تعد موجودة في الفترة التي دونوا فيها اسس النقد ، وفي هذه الفترة تراجع العنصر العربي عن مكان الصدارة في قيادة الجيوش وحل محلهم منذ انتهاء الدولة الاموية اجناس اخرى كالفرس والترك والديلم والشراكسة ولم يعد الشعراء يخوضون غمرات القتال (٤) .

وشعر الفتوح الاموية لم يدرس دراسة مستقلة ولم ينهض بعبء جمعه محقق ، ومؤرخو الادب يدرسونه ضمن اطار عام شامل هو الشعر الاساسي ويتضمن هذا الشعر الى جانبه قصائد الثورات الداخلية والخصومات الحزبية كقصيد

(١) راجع كتاب العمدة في الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني.
(٢) راجع فصول حماسة البحتري وعدتها سبعة وعشرون فصلا.
(٣) راجع العمدة ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد جـ٢ ص ١٤٣ـ١٤٥ .
(٤) اسس النقد الادبي عند العرب ـ د. احمد احمد بدوي ص ٢٦٤ .

الخوارج ، وقصيد الشيعة ، وقصيدالزبيرية ، وقصيدالمرجئه وقصيد البلاط الاموي وغيرها (٥) .

والشعر الذي اقترن بالفتوح ليس شعرا صافيا ولكنه اختلط بغيره فهنالك مقاتلون كانوا يتمثلون بقصائد حماسية اثناء قتالهم قالها شعراء جاهليون في ايامهم ، او شعراء اسلاميون ساهموا في غزوات الرسول .. وهنالك شعراء نظموا قصائد تصف الحرب وبلاء الامويين فيها وهم لم يشهدوها كشعراء المديح والهجاء الذين قصدوا البلاط ليمدحوا ويذموا وفي مقدمتهم الفرزدق والاخطل .

وتمتاز قصيدة الفتوح بعد ذلك بكونها صادقة عفوية لا تكلف فيها ولا زخرف ، يعبر شاعرها عن الحقيقة العارية ولا يدرك محتوى الكلمة فيها ادراكا تاما الا من عاش اجواءها.. فنحن مثلا نقف من تعداد اسماء الرجال فيها كما يلي :

فاضحى الخزاعي الرئيس مجدلا
كان لم يقاتل مرة ويحارب
وراس بني شمخ ، وفارس قومه
شنوءة ، والتيمي هادي الكتائب
وعمرو بن بشر ، والوليد ، وخالد ،
وزيد بن بكر ، والحليس بن غالب
وضارب من همدان كل مشيع
اذا شد لم ينكل ، كريم المكاسب
ومن كل قوم قد اصيب زعيمهم
وذو حسب في ذروة المجد .. ثاقب
ابوا غير ضرب يفلق الهام وقعه
وطعن باطراف الاسنة . صائب (٦)

هذا التكرار الذي ننفر منه في حقيقته ذو دلالة عميقة في وجدان الشاعر وخاصة الشاعر المقاتل الذي تربطه علاقات عديدة بقادته واخوانه في السلاح وربما كان اشهار اسم منهذه الاسماء يقود بشاعرنا الى السجن او يعرضه لنقمة الوالي الجديد من جهة وقد يستدعي حمايته من قبيلة فلان وافتداءه في مجتمع يعتز بالانساب ويحترمها من جهة اخرى .

وتتميز قصيدة الفتوح بخلوها من هجاء الاعداء وتجنبها هذا الموضوع كما يقول الاستاذ كارلو نللينو « وكانهم يعتبرون الهجاء من خصائص اولاد عدنان وقحطان » وتفسير هذه الظاهرة انهم « لم يعقلوا الهجاء الا اذا رد عليه ومن الواضح ان هذا الرد مستحيل اذا كان العدو من العجم ... » (٧) .

وفي موضوعات قصيدة الفتوح ميزة اخرى لها هيالهروب الى الطبيعة والشكوى والبث لها سببها بعد الشاعر عن احبته وذويه ، ووجوده في وسط اعجمي لا يفهمه ولا يفهمه ..

اما الموضوعات الاخرى التي يشترك فيها شعر الفتوح مع بقية الانواع الشعرية فمنها الحس بالغربة ، والحنين للاحبة ، والشعور بالناي ، ولوعة الفراق ، ووصف المشاهد الغريبة ، والمديح ، والرثاء ، والفخر .

(٥) راجع كتاب الشعر السياسي ـ احمد الشايب ، وكتاب ادب السياسة في العهد الاموي للدكتور احمدمحمدالحوفي.
(٦) راجع ابن الاثير ـ ج٤ ص١٨٩ .
(٧) تاريخ الاداب العربية ـ كارلو نللينو ـ نشرته مريم نللينو ـ دار المعارف بمصر ص١٩٧ .

الصحيفة الثالثة : شعراء الفتوح

حفظ لنا التاريخ العام وتاريخ الادب اسماء عدد من الشعراء الذين ارتبطوا بالفتوح الاموية اما بصفتهم محاربين مقاتلين او بصفتهم رجال صحافة واعلام كانوا يرافقون الجيش فيشيدون بقادته وينشرون انباء انتصاراته ومنهم اعشى همدان ، ومالك بن الريب وكعب الاشقري وعبدالله بن سبرة الحرشي والمغيرة بن حبناء ونهار بن توسعة وعبدالرحمن بن جمانه وثابت قطنه وابن عرس العبدي .. وبعض هؤلاء لم يؤثر عنه سوى قليل من الشعر ولا شيء غير هذا القليل ويبدو لي ان المهم شخصية واوفرهم اخبارا ثلاثة : الاعشى ، وكعب ، ومالك .

١ ـ أعشى همدان :

لم يوفق في حروبه ولم يوفق في ثورته ولكنه كان اكثر توفيقا في علاقاته الوجدانية مع المراة .. فلقد اسر اثناء خروجه لقتال الفرس في « الديلم » ولقد ثار مع ابن الاشعث متحديا الحجاج بن يوسف الثقفي في الكوفة ولكن ثورته لم تؤت اكلها واودت بحياته او كانت سببا من اسباب اعدامه .

اما علاقاته الوجدانية فكانت ميدان ظفره وفوزه ففي خبر من اخباره انه حين اسر في الديلم تعمقت اواصر المودة بينه وبين ابنة آسره ، احبته ومالت اليه وراودته عن نفسه وهو موثق سجين موكل امر مصيره بيد ابيها .. وقد نال منها ما لم ينله غيره ونالت منه الديلمية ما لم تنله من غيره . واذاكان في الرواية اسراف وشطط ، واذا كانت المحاورة التي جرت بينهما ونقلها صاحب الاغاني صادقة او غير صادقة ، موضوعة او غير موضوعة فان دلالتها لا شك في صدقها .. وان مجموع اخباره تدل على انه كان يتمتع بفحولة وقدرة جنسية حتى وهو شيخ مرتعش على فرسه .. وفيما عدا ما كان بينهما داخل الاسر وكونها اطلقت سراحه وهربت معه لا نجد اشارة اخرى لهذه المتعشقة في مجمل اخباره ولا نجد ذكرا لها فيما بلغنا من شعره .

وكان لعبدالرحمن بن عبدالله وهذا هو اسمه امراة من قومه يدعوها « ام الجلال » ويغلب على الظن ان هذا كنية لها وانه وانها لم ينجبا ولدا بهذا الاسم لان علاقاتهما كانت تزداد سوءا كلما طالت مدة عشرتهما وفي شيخوخته مال الى امراة يدعوها « جزلة » وتدعى في بعض الروايات « خولة » .. كانت شابة بيضاء ذات شعر جعد اسود مكتنزة القوام ، فخطبها ولكنها تابت عليه واشترطت عليه شرطا ان يكون لها وحدها وان يقطع ما بينه وبين ام الجلال من وشائج وكانها ارادت ان ترهقه لكي لا يقترن بها ولكن هذا الشرط لقي هوى في نفسه فقبل به وطلق زوجته ثلاثا لكي لا يكون للحوار بينهما بقية ولا يكون لحياتهما الزوجية تلو . ويخيل لي ان « جزلة » حين تزوجته تزوجته كارهة بعد ان نفدت حيلتها واسقط في يدها .. ويضيف رواة اخباره ان ام الجلال دعت الله ان يقع بينه وبين خطيبته ما يبغضها له ، وما يبغضه لها ويذكرون ان الشق الثاني تحقق .. وانه حين دخل بها لم يجد حظوة لديها .. ويبدو ان الامر طبيعي ولا غلاقة له بالدعاء وان بذور خصومتهما كامنة في شرط الخطوبة ولكنه لم يدرك كونه رفضا حييا اذكانت سنه وحالته الصحية عند الزواج كما يقول :

عجبت جزلة مني ان رات
لمتي حفت بشيب كالثغام
ورات جسمي علاه كبرة
وصروف الدهر قد ابلت .. عظامي
وصليت الحرب حتى تركت
جسدي نضوا كاسلاء اللحام

ولا شك ان الحرب انهته وانهكت قواه الروحيةوالجسدية فلقد حارب في الديلم ومكران وسجستان ونصيبين وغيرها .. وحين ظفر به الحجاج واقتيد اليه ينوء باغلاله حاول ان يتراجع وان يغير مواقع اقدامه ولكن الحجاج فهم محاولته وكانها مراوغة تحتمل وجهين .. الوجه الظاهر الذي يريد ان يخدعه به والوجه الكامن الذي يحرض به اصحابه ويعلن اسفه على ما حل بهم ويبدو لنا من الحوار الذي دار بينه وبين الحجاج .. وكان الحجاج وهو يقرأ ملفا خاصا اشبه بملفات المباحث الحديثة يحاججه فلقد ذكره بكثير من شعره الذي قاله مديحا في خصوم الحجاج وهجاء له .. منها انه ارتجز ذات يوم وهو يتقدم موكبا عسكريا خارجا عليه :

امكن ربي من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلي ما كان
ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب ثان

وقال مرة اخرى :

يااابن الاشيم قريع كندة لا ابالي فيك عتبا
انت الرئيس ابن الرئيس وانت اعلى الناس كعبا
نبئت حجاج بن يوسف خر من زلق فتبا

وقال الاعشى فيمن يكرهه الحجاج :

واذا سالت المجد اين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاغر وبين قيس باذخ
بخ بخ لوالده وللمولود

وكان الحجاج وهو يتلو الابيات المذكورة يتميز غيظا ويخشن القول للشاعر حتى اذا بلغ الاخير اقسم ان لا يبغيخ بعدها ابدا وامر حراسه فضربوا عنق الشاعر والجدير بالذكر ان الاعشى سبق له ان غزا كرمان في ركاب الحجاج .

ويلاحظ في شعر الاعشى نوع من التناقض فهو يمدح فلانا ثم لا يلبث ان يقول فيه شعرا لا يحبه ولا يرضاه وكانه مدفوع بدافع الطمع .. فلقد اثنى كثيرا على خالد بن عتاب الرياحي ولكنه ما ان قلل عطاءه حتى تنكر له ، وانه ثار مع ابن الاشعث ولكن ابن الاشعث حين صار الى سجستان ورفض ان يزيد عطاء الاعشى قال فيه شعرا فيه لوم وعتاب ومنة عليه .

ويلوح لي انالخيط الذي يجمعهذه المتناقضات كونشاعرنا لم يقل شعره الا اجابة على اسئلة الحياة وردا على مواقف كانت تحتم عليه الرد الفوري ويمكن تعميم هذا الحكم على شعره نضاليا كان او وجدانيا .

فهو بعد ان وقع في الاسر قال ردا على صوت لانعرفه ولكننا نحسه من خلال نبرات صوته في قصيدته الفائية ولعله كان صوتا يستهدف النيل من نضاله وما اكثر الاصوات التي تستهدف المناضلين عند اول اخفاق يمنون به .

واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي
وانا امرؤ بادي الاشاجع اعجف
ولقد تضر سني الحروب وانني
الفى بكل مخافة اتصف
اتسربل الليل البهيم واستري
في الغبت اذ لا يسترون واوجف
ما ان ازال مقنعا او حاصرا
سلف الكتيبة ، والكتيبة وقف
فاصابني قوم فكنت اصيبهم
فالان اصبر للزمان واعرف
اني لطلاب الترات ، مطلب
وبكل اسباب المنية اشرف
باق على الحدثان غير مكذب
لا كاسف بالي ولا متاسف
ان نلت لم افرح بشيء نلته
واذا سبقت به فلا اتلهف

وفي قصيدة قالها وهو مريض بمكران وعمره خمسون عاما يرد على عواذله :

وقال العواذل هل ينتهي
فيقدعه الشيب او يقصر
وفي اربعين توفيتها
وعشر مضت لي مستبصر
وموعظة لامرىء حازم
اذا كان يسمع او يبصر
فلا تاسفن على ما مضى
ولا يحزننك ما يدبر ..
فان الحوادث تبلي الفتى
وان الزمان به يعثر ..
فيوما يساء بما نابه
وبوما يسر فيستبشر ..

وقال بعد ان رفض ابن الاشعث زيادة عطائه وكانت قبيلة الاعشى اخوال بن الاشعث :

كم قد اسدي لك من مدحة
تروى مع الصادر والوارد
وكم اجبنا لك من دعوة
فاعرف فما العارف كالجاحد
نحن حميناك وما تحتمي
في الروع من مثنى ولا واحد
يوم انتصرنا لك من عابد
ويوم انجيناك من .. خالد
ووقعة الري التي نلتها
بجحفل من جمعنا .. عاقد

الى ان يقول :

نحن ولدناك فلا تجفنا
والله قد وصاك بالوالد
ان لك من كندة في بيتها
فان اخوالك من حاشد

.....

.....

فارتح لاخوالك واذكرهم
وارحمهم للسلف العائد
فان اخوالك لم يبرحوا
يربون بالرفد على الرافد

وقال في آخر ايامه وهو بين يدي الحجاج :

ابى الله الا ان يتم نوره
ويطفىء نار الفاسقين فتخمدا

وينـــزل ذلا بالعـــراق واهلـــه
كمـا نقضوا العهد الوثيـق المؤكدا
وما لبث الحجاج ان سل سـيفه
علينـا فولـى جمعنـا وتبـددا
وما زاحـف الحجـاج الا رايتـه
حسـاما ملقـى للحـروب معـودا

الى ان يقول :

ليهنـىء امـير المـؤمنين ظهـوره
على امـة كـانوا بغـاة وحسـدا
وجـدنا بني مروان خـير ائمـة
واعظـم هذا الخلق حلما وسـؤددا
وخـير قريش في قريش ارومـة
واكرمهـم الا النبـي محمـدا
. . الخ . (١)

٢ ـ مالك بن الريب :

كانوا ثلاثة ضائعين في الارض المحيطة بجبل سنام الرابض بين الكويت والبصرة ، يتعرضون لركاب القوم فيسلبونهم متاعهم ونقودهم ويعتدون على كرامتهم وقد يتجاوزون الى الاعتداء على ارواحهم .. وكثيرا ما جلسوا في ساعات فراغهم يتندرون فيما بينهم بقصص فتكهم ولصوصيتهم .. اما احدهم فكان شاعرا ذاع شعره وسار ذكره واما الآخران فلم يشتهرا بشعر .. قد بلغت اخبارهم والي المدينة فنذر نفسه لايقافهم عند حدهم وانقاذ القوم من شرهم فارسل من يلقي القبض عليهم ويقتادهم لحضـرته ليقتص منهم وندب لهذه المهمة احد الانصار فاضطلع بها اضطلاع قدير متمكن واستطاع ان يلقي القبض على أبي حردابه ومالك بن الريب ولم تذكر الاخبار شيئا عن ثالثهم شظاظ .. وبينما الانصاري يحث خطاه في طريقه نحو الوالي تمكن مالك بن الريب من تجريد غلامه من سلاحه وقتله به ثم الاجهاز على الانصـاري وقتله هو الاخر والاسراع لانقاذ زميله من الاسر وحل وثاقه ، وما ان تخلصا حتى ركبا ابل الانصاري وهربا نحو البحرين ومن هناك الى فارس .

ويبدو ان مالك بن الريب اثناء ضياعه في بادية البصـرة واثناء غربته في فارس كان يصطحب معه اسرته ولا نعرف من هذه الاسرة سوى ما يدل عليها فلقد كانت له فتاة تدعى « شـهلة » تملك عليه حواسه وتحد من حركته كلما هم ان يتحرك بعيدا . ولم يكن هذا الشاعر المتشرد دميم الخلقة ولا ركيك الشعر ولكنه اشتهر بجمالهما معا .. فقد كان جميل الوجه من اجمل القوم وجها وانقهم ثيابا ، وكان جميل البيان من أجمل الناس قولا واعذبهم قصيدا .. وكان شجاعا قوي البأس يحسن الرمايـة والطعن .. وهو لا يجد حرجا في ان يلتحف الظلماء في البادية ما دام سيفه بجانبه وقد وجد نفسه ذات ليلة فريسة لشبح داهمه فلم يرتعب وتمالك نفسه وامتشق سيفه وطعن الشبح الذي داهمه فاذا هو يشطره ويودي بحياته .. وما ان يتبينه مليا حتى يجده رجلا اسود قاتما .

وفي ليلة اخرى يواجه ذئبا او يواجهـه الذئب فيزجـر احدهما الاخر فلا يزدجر وما هي الا لحظات ويشتبك الـذئب والشـاعر معا ليسفر عن انتصار الشـاعر وانهيار الـذئب وموتـــه .

ورغم قوة شاعرنا وشدة فتكه الا انه كان حساسا لا يتحمل الاهانة مهما كانت بسيطة ففي خبر من اخباره انه قصد فارس لانه احب ليلى الاخيلية واثناء مبارزة له مع صاحبها توبة بن الحمير يصدر عنه ما يخل بكرامته من ريح ونحوه فيتضاءل امام خصمه وامام شاعرته فيقرر الدخول في الغربة لعل الغربة تطهر ذاته مما الم بها من اهانة . وسواء أكان هذا الخبر صحيحـا او كان سبب غربته غيره فان الشاعر فعلا عرف الغربة وكانت فارس دار غربته .. وبينما هو سادر في حياة الضياع والتشرد يلتقي ذات يوم اميرا من امراء بني امية هو سعيد بن عثمان بن عفان في طريقه الى خراسان ليتقلد مهام عمله فيسأله الامير عن السبب الذي دعاه وهو الجميل الانيق الفصيح الى ركـوب المركب الخشن الذي ركبه فيجيبه جوابا صريحا يكشف عن طويته فلا تلا : يدعوني اليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات ومكافاة الاخوان .. فيعرض عليه الامير ان يضع تحت تصرفه مرتبا لابأس به يعينه على مكافاة الاخوان ومساواة ذوي المروءة وتحقيق المعالي على ان يصطحبه معه وان يصلح سلوكه .. فيكون للعرض وقع حسن في نفسه واذا هو يسرع فيقول : اي والله ايها الامير اكف كفا لم يكف احد احسن منه .. وهكذا تنتهي حياة التشرد والضياع ليكون مالك بن الريب جنديا عربيا من جنود الدعوة الاسلامية يصحب الامير في ركابه المغذ نحو خراسان .

ويتحدث مؤرخو حياته بعد ذلك عن مساهمته في فتـح سمرقند وبلائه فيها ولكنه اثناء ايابه من خراسان ينتابه مرض عضال فيحس بدنو اجله او تلدغه في رواية اخرى افعى فيحس بدنو اجلـه وسواء اصدق الخبر الاول ام صدق الخبر الثاني فقد احس بدنو أجله فافرد عن القوم وتخلف عن الركب ومعـه صاحبان له ، او معه امراة وصاحب .. واغلب الظن ان صدقت الرواية الثانية ان المراة ابنته شهلة .. وفي هذا الموقف نظـم قصيدة رقيقة المشاعر ، عذبة النغم تقف الى جانب اروع ما وصلنا من شعر التراث يرثي فيها نفسـه ويعبر عن غربة روحه.

وكما مات مالك بن الريب شهيدا وهو عـائد من ارض المعركة فان ابا حردبة اللص الثاني هو الاخر استشهد في احدى غزوات العرب للفرس بعد ان تاب وتنسك واما شظاظ الثالث فقد أمسكه الحجاج وامر بصلبه فصلب .

ولقد عبر ما لك عن كل فقرة من فقرات حياته بعلوبـة وفطنة ولذلك فان سر قصيده هو التعبير عن حادثة وقعت له ، او تجربة تجاوزها .. وهو في هذا لا يشابه الاعشى الذي تولد قصيدته جوابا على موقف ولكنه يختلف عنه .. لان « التعبير عن موقف » يختلف عن « جواب الموقف » ولا يشابهه .

قال مالك من قصيدة يعبر فيها عن تخلصه من قبضـة الوالي مروان :

الا من مبلـغ مـروان عني ... فاني ليـس دهـري بالفرار
ولا جزع من الحـدثان يومـا ... ولـكني اورد لـكم وبـار
بهزمار تراد العيـس فيهـا ... اذا اشفقن من فلق الصـفار
وهن يخشن بالاعمـاق خوشا ... كـان عظامهن قـداح بـاري
كان الرحـل اسار من قراها ... هـلال عشـية بعد السـرار
رايت وقد اتى بحـران دوني ... لليلي بالغمـيم ضـوء نـار

---

(١) اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على المراجع التالية :ـ
ا ـ الاغاني ـ ط دار الثقافة جـ ٦
ب ـ تاريخ آداب العربية ـ جرجي زيدان جـ ١
جـ ـ تاريخ الادب العربي ـ د.شوقي ضيف ـ العصـر الاســلامي .
د ـ تاريخ الامم والملوك ـ الطبري جـ ٥
هـ ـ الموشـح للمرزباني .
و ـ الاعلام ـ للزركلي .

اذا ما قلت قد خمدت زهاها عصي الزند والعصف السواري
يشب وقودها ويلوح وهنا كما لاح الشبوب من الصواري
... الخ .

وقال يفخر بقتله الاسود الذي داهمه ذات ليلة :

ياغاسلا تحت الظلام مطية
متخايلا لا بل وغير مخايل
اني انخت لشاتك انيابه
مستأنس بدجى الظلام منازل
لا يستريع عظيمة يرمى بها
حصاء تحسر عن عظام الكاهل
حربا تنصبه بنبت هواجر
عاري الاشاجع كالحسام الناصل
لم يدر ما غرف القصور وفيؤها
طاو بنخل سوادها المتمايل
يقظ الفؤاد اذا القلوب تآنست
جزعا ونبه كل اروع باسل
حيث الدجى متطلعا لغفوله
كالذئب في غلس الظلام الخاتل
فوجدته ثبت الجنان مشيعا
ركاب منسج كل امر .. هائل
فقراك ابيض كالعقيقة صارما
ذا رونق يغشى الضريبة قاصل

ومن قصيدته التي يرثى فيها نفسه وقيل ان عدتها ثلاثة عشر بيتا وما عداها منحول عليه :

ابا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
برابية اني مقيم .. لياليا
وخطا باطراف الاسنة مضجعي
وردا على عيني فضل ردائيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما
من الارض ذات العرض ان توسعاليا
لعمري لان غالت خراسان هامتي
لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
فياليت شعري هل ابيتن ليلة
بجنب الفضى ازجى القلاص النواجيا (1)

٣ ـ كعب الأشقري :

قالوا عنه : شاعر فارس خطيب ممدود من الشجعان ، والقول عنه خلق ليعيش في اللحظة الآنية فهو ابن لحظته دائما وهذه الخصلة فيه تبرر مزاياه ، وهذه الخصلة فيه تبرر اخطاءه وعيوبه ، وهذه الخصلة هي التي قادته الى الموت واوردته المورد الصعب .

فهو شجاع يعطي الموقف حقه ويتألق في حدوده ، فقد لقي الحجاج موفدا من المهلب فدار بينهما حوار ممتع نورد طرفا منه .

سأله الحجاج كيف بنو المهلب ؟

قال : حماة للحريم نهارا وفرسان بالليل أيقاظ .

ـ فأين السماع عن العيان ؟

ـ السماع دون العيان .

ـ صفهم رجلا رجلا .

ـ المغيرة فارسهم وسيدهم ، نار ذاكية ، وصعدة عالية ، وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، ليث غاب ، وبحر جم العباب ، وجوادهم قبيصه ليث المغار وحامي الذمار ، ولا يستحي الشجاع ان يفر من مدرك فكيف لا يفر من الموت الحاضر والاسد الخادر وعبدالملك سم ناقع وسيف قاطع .. الخ .

وهكذا يمضي الحوار بينهما فيحكم الحجاج بقدرته وكفاءته ويجزل عطاءه ويقول له : المهلب كان اعلم بك حيث بعثك .

ويكتب الحجاج بعد ذلك الى المهلب يأمره بمناجزة الازارقة وبسنبطئه فيرد عليه المهلب موضحا ان ادارة الحرب من صلاحيته فهو الذي يخوضها وليس الحجاج وانه يرفض ان يأخذ باوامر الحجاج بحيث تكون الاصابة ان اصاب المهلب للحجاج ويكون الخطأ ان اخطأ المهلب على المهلب . ويكتب اليه ان لم يقتنع بان تدبير الحرب من صلاحيته ان يعزله ويولي من يشاء مكانه فتهز اللحظة البطولية التي وقفها المهلب مشاعر كعب فيقول قصيدة ينال بها من شخصية الحجاج وتبلغه فيحمل في نفسه شيئا على الشاعر ولكن الشاعر يستعين عليه بالخليفة فيستوهبه من الحجاج ويعفو عنه .

وحين يخطىء كعب فهو انما يخطىء بسبب عدم رؤيته الى ما هو ابعد من حدود اللحظة الآنية فهو لا يلفت جيده الى الوراء ليتذكر ويعطي للذكرى حقها ، ولا يتطلع للمستقبل ليعطي للمفاجآت حقها ومن هذا موقفه بين قتيبة بن مسلم الباهلي ويزيد بن المهلب .. فلقد اخفق يزيد في فتح مدينة خوارزم واستعصت عليه فعزل وولي مكانه قتيبة فحاصرها وفتحها فهزت هذه اللحظة البطولية مشاعر كعب فمدحه وهجا يزيد بن المهلب وذهب يعري حتى اصوله الاعجمية في الوقت الذي ينكر ذوو المهلب اعجمية اصلهم ويدعون انهم ازديون صليبة .. وتدور الايام ويعود يزيد لولايته فلا يجد كعب امامه الا الهروب والعودة الى عمان .

ولو ان شاعرنا لم يكن ابن لحظته لاحتاط لغده ونظر الى ما هو ابعد من الآن ولما وقع في المصيدة التي وقع فيها .

وهذه الصفة في كعب هي التي اودت بحياته كذلك فما ان اطمأن في عمان ثم مسه ضر فيها بسبب انقطاع صحبته للامراء والقادة حتى نسي ماضيه وتصور ان الاخرين مثله يعيشون في حدود يومهم فكتب الى ابن المهلب يعتذر وفي اعتذاره كشف عن مخبأه الذي فر اليه فانتهز ابن المهلب الفرصة واغرى ابن اخ للشاعر كان الشاعر قد هجاه بقتله فجاءه وهو نائم تحت شجرة فضربه بفأس واودى بحياته .. وهكذا يكون غادره هو الذي منحه اعذب اناشيده . وبذلك لم يكسب كعب بشعره الكثير شيئا يساوي ما خسره بسبب قليل من شعره .. وان ما اعطاه آل المهلب لكعب الاشقري ذهب مع تقادم الزمن وما اعطاهم كعب ما زال باقيا .

قال كعب يمدح المهلب :

سلوا أهل الاباطح عن قريش
عن العز المؤبد أين صارا

---

(1) اعتمدت في كتابة هذا الفصل على :
أ ـ الاغاني ـ دار الثقافة جـ ٢٢ ص ٢٠٢ـ٢٢٥
ب ـ الاعلام ـ للزركلي
جـ ـ معجم الشعراء ـ المرزباني ص ٢٦٥
د ـ شعراء الواحدة ـ نعمان ماهر الكنعاني
هـ ـ العقد الفريد ـ جـ ٢ ـ تحقيق محمد سعيد العريان
و ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان جـ ١

ومن يحمي الثغـور اذا استحرت
حـروب لا ينـون لهـا غـرارا
لقومي الازد في الغمرات امضـى
واوفى ذمـة واعـز جـارا
هـم قادوا الجيـاد على وجاهـا
من الامصـار يقـدفن المهـارا
بكـل مفـازة وبكـل سـهب
بسـابس لا يـرون لهـا منـارا
الـى كرمـان يحمـلن المنايـا
بكـل ثنيـة يوقـدن نـارا
شوازب لـم يصبـن الثار حتى
رددناهـا مشـكلة مـرارا
ويشجرن العـوالي السمر حتـى
ترى فيهـا عـن الاسـل ازورارا
غـداة تركـن مصـرع عبـد رب
يثرن عليـه مـن رهـج عصـارا
وبوم الزحـف بالاهـواز ظلنـا
نـروي منهـم الاسـل الحرارا
فقـرت اعـين كـانت حديثـا
ولـم يـبك نومهـا الا غـرارا
صـنائعنا السـوابغ والمـذاكي
ومن بالمصـر يجتلـب العشـارا
فهـن يحن كـل حمـى عـزيز
وبحمـين الحقـائق والذمـارا
طـوالات المنـون يصـن الا
اذا سـار المهلب حيـث سـارا
... الخ .

وقال يمدح ابناء المهلب :

كـانهـم نجـوم حـول بـدر
دراري تكمـل فاسـتدارا
ملـوك ينزلـون بكـل ثغـر
اذا ما الهـام يوم الروع طـارا
يزان في الامـور تـرى عليهـم
من الشـيخ الشمـائل والنجـارا
نجـوم يهتـدي بهـم اذا مـا
اخو الظلماء في الغمـرات حـارا
... الخ .

وقد قال فيه الحجاج حين انشده قصـيدته الرائيـة التي منهـا :

تابى علينا حزازات النفوس فمـا
نبقى عليهم ولا يبقون ان قـدروا

« .. انك لمنصف يا كعب . » ولكن الذين انصفهم كعب لم ينصـفوه .

وقال فيه الفرزدق ايضا : شعراء الاسلام اربعة انا وجرير والاخطل وكعب الاشقري . (1)

---

(1) اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على : ـ
ا ـ الاغاني ـ ج ١٤
ب ـ الطبري ـ ج ٥
جـ ـ المرزباني ـ معجم الشعراء
د ـ تاريخ آداب العربية ـ جرجي زيدان .
هـ ـ الاعلام ـ الزركلي .

المراجـع

رتبت المراجع حسب ورودها في هوامش الصفحات :

١ ـ حضارة الاسلام ـ جوستاف جرونباوم ـ ترجمة عبدالعزيز جاويد .
٢ ـ محاضرات في تاريخ العرب ـ د . صالح احمد العلي ط٢ .
٣ ـ حضارة العرب ـ غوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر ط٣.
٤ ـ تاريخ الاسلام ـ د . حسن ابراهيم حسن ج ١ـ٢ .
٥ ـ فجر الاسلام ـ احمد امين .
٦ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ جواد علي ـ ج ٨ .
٧ ـ سيرة ابن هشام ـ تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه .
٨ ـ الادارة العربية ـ س.ا.ق حسيني . ترجمة د . ابراهيم احمد العدوي .
٩ ـ اشتراكية الاسلام ـ د . مصطفى السباعي ط٢ .
١٠ـ الخراج في الدولة الاسلامية ـ محمد ضياءالدين الريس .
١١ـ الاشتراكية والحرب ـ لنين .
١٢ـ الاستراتيجية العسكرية السوفياتية ـ سوكولوفسكي ـ ترجمة خيري حماد .
١٣ـ العقدالفريد ـ ابن عبد ربه ـ تحقيق محمدسعيد العريان.
١٤ـ الدعوة الى الاسلام ـ ارنولد ـ ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين .
١٥ـ تاريخ الامم والملوك ـ الطبري .
١٦ـ فتوح البلدان ـ للبلاذري ـ تحقيق صلاح الدين المنجد .
١٧ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير ـ طبعة دار صادر دار بيروت .
١٨ـ شعر الحرب في ادب العرب ـ زكي المحاسني ـ طبعة دار المعارف .
١٩ـ شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ـ لنعمان الصعيدي .
٢٠ـ شيء من التراث ـ عبدالجبار داود البصري .
٢١ـ ديوان الهذليين ـ طبعة دار الكتب .
٢٢ـ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ـ جـ١ ـ تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد .
٢٣ـ تاريخ ابن خلدون .
٢٤ـ الشعر الملحمي ـ احمد ابو حاقه .
٢٥ـ العمدة في الشعر ونقده ـ ابن رشيق القيرواني ـ تحقيق محمد محي‌الدين عبدالمجيد .
٢٦ـ اسس النقد الادبي عند العرب ـ د . احمد احمد بدوي .
٢٧ـ الشعر السياسي ـ احمد الشايب .
٢٨ـ ادب السياسة في العهد الاموي ـ احمد محمد الحوفي .
٢٩ـ تاريخ الاداب العربية ـ كارلو نللينو ـ طبعةدارالمعارف .
٣٠ـ الاغاني ـ طبعة دار الثقافة جـ ٦ ، جـ ٢٢ ، جـ ١٤ .
٣١ـ تاريخ آداب العربية ـ جرجي زيدان .
٣٢ـ تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي ـ د . شوقي‌ضيف.
٣٣ـ الموشح ـ المرزباني .
٣٤ـ معجم الشعراء ـ المرزباني .
٣٥ـ الاعلام ـ الزركلي .
٣٦ـ المختلف والمؤتلف ـ للآمدي .
٣٧ـ شعراء الواحدة ـ نعمان ماهر الكنعاني .